

في التربيـة والتعلـيم

القدوة وأثرها في التربية

بقلم الاستاذ محمود الخفيف

أستاذ الآداب بالمعهد الأزهرى

تعتبر القدوة عند المربين من أهم وسائل التربية ومن أعظمها أثراً في تكوين الخلق ،



إن خيراً فخيراً ، وإن شراً شراً ، وعلة ذلك أن الطفل مطبوع منذ نعومة أظفاره على المحاكاة مسوق إليها دون شعور منه بما يفعل ، أو اختيار منه فيما يأخذ أو يدع من الأمور على أن أثر القدوة لا يقف عند مرحلة الطفولة ، فأنا نرى هذا الأثر القوي يتحكم في جميع أطوار الحياة . بيد أنه في الطفولة أبعد مدى وأعظم خطراً ، فإن ما يفرس في نفس الطفل ، وما ينطبع في ذهنه من المعاني في تلك الفترة ؛ لا سبيل إلى محوه أو تغييره مدى

الحياة ، فيكبر الخلق الموروث وينمو الطفل ، كالنقش المنحوت في جذع الشجرة لن يتحوه نموها ، بل يزيده وضوحاً واتساعاً

والقدوة في الطفولة يثنان أساسيتان : المنزل والمدرسة ، ففي المنزل يقتدى الطفل بوالديه وبمن هم أكبر سنانه ، وفي المدرسة يقتدى بأساتذته وسواهم من الرؤساء والمربين ولا شك عندى أن الأثر الذى يتركه سلوك الوالدين في المنزل والمربين في المدرسة أشد سلطاناً وأقوى فملا من جميع ما يتعلم الطفل من النصائح أو يقرأ من الكتب ، ولعمري لموقف واحد من مواقف التبيل خير من ساعات ملؤها العبارات الجوفاء والمواقظ المسبولة

التي يدعو تكرارها إلى النفور منها ، وتساعد طريقة إلقائها على ابتذالها والاستخفاف بها كما أن لحظة قصيرة تبرز فيها الرذيلة قد تترك وراءها من الشر في القلوب البريئة ، ما لم يكن في حسان أحد ؛ وبما لا سبيل بعد إلى تلافيه ، كالجرثومة تعلق بالبدن الصحيح فتودى به على ضآلتها ، ويعني استئصالها كل حيلة ، وتمجز كل علاج وإني لأثبت هنا أن الدعوة إلى الفضيلة ما لم يكن لها سند من القدوة بناء على الرمل ، ونقش على الماء ، بل ليت الأمر قاصر على هذا ، فأنت مثل هذا العمل فضلا عن قصوره ينقلب فيصبح شرًا ممتطيرا ، وداء وبيل ، فهو مدعاة إلى النفاق ، وسبيل إلى اعتلال الضمير وسقم الوجدان

صور لنفسك رجلا يدعو إلى مكارم الأخلاق . كالصدق والشجاعة والعدل مثلا ، وعو بعد معروف عند من يدعوهم بالكذب والخين والتحيز هل يصدق كلامه أم لا ؟ ومن البلاغة ، ومهما رزق من حسن الالتقاء إلى قلبك ؟ وهل يزيدك قوله إلا نفورا ؟ وإنك لتستصغر شأن الأخلاق إن كنت لا تزال بعد صغيرا ؛ وترأها أمرا « رسميا » حينما تمتد سماع حديثها في المدرسة والدعوة إليها في المكتب ، ثم لا تجد لها في الحياة من أثر ؛ فقد نشأ هذه الفكرة معك دون وعي وتستقر في نفسك وإن ذلك هو الداء الويل ذلك هو النفاق الذي نمانى منه الالتواء في السياسة ، والمروق في الأدب ، والنش في الصنعة ، والأثرة في الاجتماع ، والاثوم في المصاحبة ، والراءاة في الدين

ولو أننا وجدنا القدوة الحسنة في منازلنا ومدارسنا ، لأحسنا أثرها الطيب في ترواحي حياتنا ، دون حاجة منا إلى كثير مما يقوم به اليوم من الدعوة إلى تهذيب الخلق ، في شكوى كأنها اليأس ، وفي وفرة كأنها الأملاق

إذا كان للقدوة مثل هذا الشأن أمكننا أن ندرك ما يترتب على سلوك المدرس ، وما ينشئ علي شخصيته من خير أو شر . نعم فالمدرس الصالح يتكرر حياته في التأهين من طلابه وكم من أناس فرغوا من التعليم وتركوا المدرسة فلم يبق في أذهانهم إلا صورة قوية للمدرس صالح أثر في نفوسهم فأثريت قلوبهم محبته ، ودرجوا على خلاله في الحياة ؛ وأصبحت الصلة الروحية بينهم وبينه أقوى من أن تنال منها الأيام ، وأية نتيجة في التربية أعظم وأفضل من هاتيك النتيجة ؟ بل ما جعل للمدرس والمدرسة إن هي لم تخرج إلى المجتمع مثل هؤلاء الرجال الذين صلحت أخلاقهم وعظمت نفوسهم ؟

وذلك الجانب الخطير من حياة المدرس في المدرسة أولى بأن يكون له القسط الأوفر من اهتمام القائمين بالتربية ؛ أما أن ينظر إلى البرامج ونظام الدروس ونظافة المدرسة وما سوى

ذلك من الأعمال التي يعني بها المربون دون الاهتمام بما تبينه حالة المدرس في تدريس طلابه ،
فتقدم لامرئ على الجواهر ، وتمكك بالقشور دون الباب

على أن المدرس الذي يفهم رسالته حق الفهم ، ويدرك معنى مسئوليته التي فرضتها عليه
مهمته ، ومقدار الخدمة التي يستطيع أن يقدمها إلى وطنه بواسطة تلك الهيئة ، غنى عن
بوجه ويرشده ، فهو بفطرته ولقائته سالك هذا الميل القويم

وبنينا أن تذكر هنا أننا معشر المدرسين نؤدي عملا مزدوجا في الحقيقة : وبخاصة
أول من يتناول الأطفال منا ، فالمثل عندنا في معظم الحالات يكاد يكون خلواً من القدوة
الحسنة إن لم يكن مباءة للشرب ووثابة للزبالة ؛ ولذلك نرى ثمرة - لو كنا مزدوجة أيضا ، فنحن
نعمل على إيجاد المنزل الطيب والرجل والمرأة الصالحين

وعندى أن المدرس يجب أن تقاس أهليته بآفاقه أولا . ثم يأتي بعد ذلك علمه ، وعلى
الأخص في المرحلة الأولى من التعليم ، حيث يحتاج الأمر إلى كثير من الخلق وقليل من
العلم ؛ فهذه المرحلة — كما سبق لي أن ذكرت — أساس كل شيء عندنا في التعليم ، ومن
ثم فهي أجدرها بعناية المصاحين وأبحاث المربين

وإننا لنحسد المدرس رهقا شديدا إذا جعلناه وحده المطالب بكل شيء ، فالخلق أننا
يجب أن نتجه إلى أولى الأمور ، ذاكرين أنه ما دام المدرس الصالح عندهم فيما يتمتعون
من خير وما يتمتعون من إصلاح ؛ فطبيعة الأمور تقضي بأن يكون له أيضا الجانب الأوفر
من عنايتهم إذ الواقع أن المدرس مهما كمل خلقه لن يصل إلى السكال المنشود إلا إذا توفرت
لديه الوسائل التي تحبب إليه عمله ، وتشعر نفسه بالوزة والكرامة

نعم يجب أن يكون المدرس قادرا على أن يحسن مظهره وهنداه إلى جانب خلقه وثقته
ما دام أنه في مقام القدوة ، فيسبغ له الرزق ، ولا يرضى عليه بما يستحق ، ففي ذلك صلاح
حال التعليم ، ولست شعري أيهما أولى بالأفتاق ، غفلة البناء ، أم معيشة المدرس ؛ وأيهما
أبعث على احترام الجو العلمي . رونق الفصل أم كمال المعلم ؟

أهيب بالمربين أن يعتمدوا في التربية على القدوة الحسنة ، وأن يعملوا على إيجاد
المدرس الصالح ذا الخلق الحسن ، وأهيب بالمدرسين أن يتدبروا ما يترتب على القدوة من
نتائج ، وأن يفتنوا إليها في كل ما يأتون من عمل ، إن كانوا يريدون أن يؤديوا مهمتهم
على وجهها الصحيح ، وأنا بعد ذلك بشير للمجتمع بالرق والفلاح

محمود الخفيف

الفكر والتفكير بقلم الامستان الدكتور على العناني

المدرس بدار العلوم

١ - نشأة الفكر :

المعاني الحاصلة في ذهن الإنسان على اختلاف ضروبها تأخذ مرا كزها في المخ والمخيخ ويحدث بعضها في النفس عن المحسّات والمدرّكات الخارجية من طريق المشاعر الحسنة والجهاز العصبي بعد مرورها فيه طرّاً إلى المخ وعكساً إلى الحواس . ويتكوّن بعضها الآخر من الألهام والخيال ، والصّور المدركة بواسطة الحواس والأعصاب تسمى بالمدرّكات الخارجية لورودها إلى الذهن من الخارج المحسوس ، والمعاني الألهامية الخيالية تسمى بالتصورات الداخلية لقيامها من الداخل في النفس وحدوثها من الألهام أو الخيال في الرّوع .

ومرا كز المحسّات والمدرّكات الخارجية المادية وقوى هذه المدرّكات المعنوية موجودة في مخ الإنسان من يوم نشأته وبروز مادته إلى الحياة ، وإن كانت في بدء الطفولة الأولى كامنة في العسوم ، وهي تبرز فيه شيئاً فشيئاً وتظهر آثارها بالتدرّج تبعاً لذلك . وتنمو قليلاً قليلاً بتموه المادي حتى يبلغ أشده فيبلغ رشده العقلي . وقوى المعاني الخيالية والألهامية موجودة في ذهن الإنسان أيضاً بالفطرة والاستعداد وتظهر بظهور قوى الأحساس وتنمو عادة بتموها وكثيراً ما تأتي فجأة وتبرز قوية كما تكون أيضاً ضئيلة وإن قويت قوى الأحساس . والصّور الخارجية الواسلة من الخارج إلى الذهن والمعاني الداخلية الفائضة من النفس تكون عنصر الفكر وتبرز موضوعة .

والفكر في الإنسان لا يقف تبارده لحظة واحدة ما دام في يقظة لم يغمره النوم على أنّه في حالة النوم قد يظهر في صور الأحلام .

ومدد الفكر الإنساني إما أن يكون من المدرّكات الخارجية في الحال أو من الصّور المحفوظة في الحافظة والمودعة في الفكرة أو من الألهام المفاجيء وقبض الخيال الذي لا توجد له صورة في الخارج أو له مثال فيه .

وأعمال الفكر هو التفكير المؤدى إلى حصر التّصورات الذهنية في صور مرئية وضبط التصديقات المنطقية حتى تنتهي نتائجها إلى مدرّكات أولية وأحكام بديهية .

والفكر إذا عملت نتائجه مرّت بذهن الإنسان دون أي انتفاع بها وإبراز أي مجهود

عقل لها ، وكان هذا التفكير مادياً بسيطاً وصاحبه إنسان ساذج بسيط ، أما إذا قدرت هذه النتائج وعرفت أغراضها وتوجهت العناية إلى غاياتها كذا التفكير ، منتجاً ، وكما نرى ، واتسعت دوائره الفنية العلمية أنتج مجهوداً عقلياً في خير الإنسانية وسعادتها ، وأخذ صاحب هذا المنظم المنتج مكاة سامية وتقديراً عظيماً بين معاصريه وفي تاريخ التفكير الإنساني وعده من قادة الفكر . وأسمى مكاة يصل إليها الإنسان في هذا السبيل هي مكاة الفلاسفة . وزعماء الديانات وعلماء الاجتماع .

٣ — نشأة التفكير الإنساني :

أشرنا إلى أن الفكر يسبق التفكير وأن الثاني ينشأ عن الأول والآن نعرض إلى العوامل التي تبرز التفكير من الفكر .

كما أن الطفل يولد بطبيعته وفطرته مفكراً وتفكر ينمو فيه بنمو المادى ، فكذلك التفكير موجود في النوع الإنساني بحكم وجود الفكر فيه ، وهو فيه من حيث النشأة والتطور كالفكر في الإنسان الفرد . فالإنسان وهو مفكر بطبيعته على ما يظهر من فطرته الأولى لم يدرك الأشياء والصور والحوادث التي وقعت تحت نظره وهو ساذج بسيط بقوته الفكرية وبعقله السامع في ذهنه وفثنته بل أدركها أولاً بتجاره المودعة فيه .

وقد كان ذلك الإدراك الأول عاملاً في ظهور العقل من القوة إلى الفعل وفي تحريك قوة التفكير ، فالعين قد أدركت المراتب الموجودة أمامها في عالم الأرض المحدود بحيط أفقه ، وفي عالم السماء القائم فوق ذلك الأفق كقبة زرقة قد زانت رقعها تلك الكواكب المتلألئة المنتقلة فيها من طرف إلى طرف

كذلك الأذن قد سمعت الأصوات الرقيقة اللينة كحفيف الأخصان ، وتغريد الطيور ، وخرير الماء ، الأصوات المزججة كدوى الرعد والحو كصفير الأرجاء وكزجيرة الحيوان الوحشى المفترس وضجيج الاتجار

وأيضاً قد لمست اليد الناعم والخطن وأدرك الجسد المر والبرد وتذوق اللسان الحلو والمر والحامض والحريف ، وهكذا وعلى هذا النحو قامت كل حاسة بأدوار وظيفتها حسب تكوينها الطبيعي

على العناية

العاطفة والتفكير

للاستاذ أحمد فوزان الاهواني

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية الأميرية

التفكير هو الظاهرة النفسية التي بها يمتاز الإنسان عن باقي الحيوانات ، ولذا قيل في



تعريفه « الإنسان حيوان فائق » أى مفكر .
ولكن كثيرا من الناس لا يفكرون التفكير الصحيح . بل يتركون أنفسهم لطروف الحياة يعضون لها ، ويسرعون كيف شاء لها الهوى . أولئك القوم لا يتفكرون كثيرا عن الحيوانات التي تعيش مسيرة لا تعلم من أمرها شيئا . أما التفكير الصحيح فهو حسن التصرف في الأمور التي تعرض في حياة الإنسان فيزنها بالميزان الصحيح ، ويقدرها حق قدرها ، ثم يرسم من الخطط والحيل ما يؤدي إلى الخروج من المأزق ، والتخلص من المشاكل ، والحيلة في ذلك ليست سهلة يسيرة ، بل قديوق الإنسان حيناً ، وقد

يخفق حيناً آخر ؛ وقد يكون مصيباً في تفكيره آناً ، ومخطئاً آناً آخر ؛ فها هي العوامل التي تؤدي إلى هذا القصر في الفكر ؛ وما هي العوامل التي تؤدي إلى الفشل فيه والانصراف عنه ؟ .

وعامل مهم من هذه العوامل يؤثر تأثيراً كبيراً في التفكير ، هو العاطفة . ذلك أن حياة الإنسان لا تخلو من العاطفة بحال من الأحوال ، ولكنها تختلف من شخص إلى آخر . والعاطفة هي ميل نفسي يتجه به الشخص نحو العالم الخارجي ، ويشمل الأشياء الموجودة فيه - سواء أكانت مادية أو معنوية - بهذه العاطفة . وللعاطفة أثر كبير في سلوك الإنسان ، وإذا كانت قوية أدت إلى أداء الأعمال الجليلة ، ولها كذلك أثر في حياة الإنسان الفنية ، وفي أخلاقه الإنسانية . وكل هذا السلوك ، أو قل أى سلوك لا ينشأ إلا عن التفكير أولاً ، وعلى قدر القسرة التي تسيطر في الذهن ، على قدر العدل الذي ينتج بعد ذلك وأثر العاطفة في التفكير يتناولها في ثلاث نواح ، فهي تؤدي إلى حسن التفكير ، وإلى التحيز ، وإلى الخطأ .

والإنسان حين يعطف على شيء ، ينصرف إليه ، ويختلط نفسه به ، ويكون دائماً العالة به ، فيشغل من حياته جزءاً كبيراً ، ويولي أكبر العناية والاهتمام بكل كبير تدور حياته على الخير ، والبخيل على المال ، والعالم على العلم . لذلك تفتتح النواحي المختلفة لثاني عالم بصير صاحب العاطفة ، إذ يكون دائماً الانتباه إلى ما يعطف عليه ، وتتضح الحقائق المتصلة به في ذهنه ؛ ومن هنا يمتحن انهم وانصرف ، لأن التفكير فهم وتصرف ، فلبخيل الذي تدور حياته على المال ، ويصرف الوقت كله وراء البحث عن المال ، يعرف أغاب الحقائق الاقتصادية ويمس فهمها ، وإذا عرضت له مشكلة مالية أحسن التصرف فيها ، وابتدع لها الحلول الموفقة حتى تزيد ثروته ويتكسده ماله : كذلك العالم يحسن فهم الحقائق العلمية وحل المشاكل العلمية ويخترع المخترعات التي تفيد العلم . وإنك لتجد « نيوتن » كن ينسب نفسه لشدة اندفاعه إلى التفكير في المسائل العلمية ، ولم يكن ليصل إلى اكتشاف قانون الجاذبية لولا غلظته الشديدة نحو العلم . كذلك كن حال « مدام كوري » التي اكتشفت عنصر الراديوم ، مادامو لعمرى السر الذي صرف هذه المرأة عن مبادئ الحياة ، وجعلها تحبس نفسها آناء الليل وأطراف النهار في المعامل العلمية ؟ إنها دون شك ، العاطفة العلمية ، وكن العرب قديماً إبان نهضتهم وقوتهم مثل ذلك ؛ يحكى عن (ابن رشد) أنه لم يدع النظر والقراءة منذ عقل إلا ليلية وفدة أبيه وليلة عرسه ، وأنه سود فيما صنف وقيد واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة

ولكن هذا الانصراف إلى ناحية واحدة تعطف عليها وتكرس لها حياتك ، يجعلك تزيد في تقديرها ، وتعلم في وزن قيمتها ، وتضعها في غير موضعها الصحيح ، ومن هنا ينشأ التحيز . ولذا كان القاضى لا يستطيع إبداء حكم صحيح إذا كن على صلة بأحد الخصوم . أو بعبارة أخرى بينهما عاطفة صداقة ، ولذا يرد القاضى نفسه عن الحكم ، لأنه لا يستطيع أن يخلص نفسه من هذا التحيز . ونجد المؤرخين من العرب يتحيزون للعريسة وغيرهم من القرابة يحطون من شأن العرب وهكذا .

والتحيز هو انصراف الذهن إلى ناحية واحدة من نواحي الموضوع مع غرض النظر عن باقى النواحي التي قد يكون لها أثر في الحكم النهائي على الموضوع

وعين الرضا عن كل عيب كائلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ذلك لأن عين الرضا ، وهى عين الحبيب ، لا تبصر إلا الحسن ، لأن انتباه صاحبها موجه إلى البحث عن تلك الحسن ؛ دون أن ينتبه إلى المساوىء ؛ وإذا ما بصرة على سيئة لا يكون عنده من الفراغ ما يجعلهم يهتم بها وتقديرها

وإذا كان التحيز من شأنه أن يقلل من قيمة بعض الأشياء ويرفع من قيمة بعضها الآخر ، فإن العاطفة قد تؤدي في بعض الأحيان إلى أكثر من هذا أي إلى الخطأ الصريح وذلك بقلب الحقائق ووضعها في غير موضعها ، فهذه فرنسا تلتقي تبعة الحرب العظمى على ألمانيا ، وألمانيا تلقى على فرنسا ، فأيهما الصحيح ؟ وقد نستطيع أن نفهم الخطأ في العلوم الاجتماعية والأدبية والسياسية لأنها علوم تقديرية ، ولكن كيف نفهم الحقائق العلمية التي نخطئ فيها ؛ وهي المستقلة عنا ؛ الواحدة بالنسبة لجميع الناس ؟ . حينما اخترع جاليليو التلسكوب لرصد النجوم والكواكب ؛ وقال إن الأرض هي التي تدور حول الشمس لا العكس ، هدد رجال الكنيسة بالحرق والاضطهاد إذا لم ينزوا عن آرائه ويحطم تلسكوبه ، ولم يكن ذلك إلا لتأصل العاطفة الدينية العميقة في نفوس رجال الدين والواقع أن أثر العاطفة في خطأ التفكير يكون عند عامة الناس والجبال أشد منه وأبعد من المتعلمين ؛ لأن هؤلاء لهم من ثقافتهم ومن شخصيتهم القوية ما يجعلهم لا ينقادون إلا للحقيقة في ذاتها بينما الجاهل يعتقد ويؤمن عن طريق العاطفة والالتقياد الأعمى دون التبصر والفكر الصحيح . وهذا هو السر في أن العامة كثيرا ما ينقادون ويجرون وراء الخرافات والأوهام دون أن يعتقدوا ويؤمنوا بالعالم الصحيح



ماذا نستطيع أن نستفيد من هذا اجتماعنا بمرسين آمي بهنتنا ؛ ونود النجاح في إخراج طلاب يكفون عماد الوطن ؟
إن المدرس الناجح ، الذي يحسن التفكير في موضوع دروسه ؛ وكيفية علاج طلبته والوصول بهم إلى ذروة المجد ، هو المدرس الذي يحب فنه ؛ ويشغل به قلبه ، ويلقى من نفسه حيزا كبيرا ، وقبولا عظيما ، وحينئذ لا يني عن التفكير في مصلحة الطلاب ، ومصلحة العلم ؛ وقفنا الله إلى النجاح

أحمد فتواد الاهواني

آثار تربية المرأة في رقى الأمم - ٢

للامستاذ عبد الغنى السيد

مفتش المعارف بدائرة نجع حمادى



أبتأ في مقالنا السابق أن الأمم بالرجال والرجال بالأمهات ، ولستم تحتاجون أيها القراء
السكرام في صدق قضيتى إلى برهان أكثر
من نظرة صغيرة إلى أبناء الطائفة الجاهلة ببلادنا
وما نراه ونسمع به في القرى وفي كثير من
البيوتات بالمدن من أن الأم تترك ابنها فذرا
يتساقط عليه الذباب حتى يصير سرعى خصبيا
لحبرائيم الفتاكه والأوبئة الفتاله خوفا عليه
من عين تصيبه ورحمة به من سهام الحاسدين .
نبأ لها وتعا لجعلها تضره حيث تريد
تفعه وقتله حيث تشاء حياته ، وما عرفت أن
بطن الأرض خير له من ظهرها ، وأن الموت أفضل له من حياة طعناها وشربها الدواء ولباسها
لنفاق الطليب .

انظروا يارعاكم الله إلى المرأة الغربية كيف تعنى بتربية أبنائها حتى يخرجوا رجالا
عاملين على رقى أممتهم فيكونوا عنوان مجدها وموضع نفعها ورمز آمالها . انظروا إلى
ما كانت تقوم به من جلائل الأعمال في الحرب العالمية الكبرى . فمن ذا الذى كان يدير
المعامل والمصانع ؟ بل من كان يدير دفة البرق والبريد ؟ بل من كان يقوم بتعمير الجرحى
ومداواة المرضى ؟ بل من كان يشاطر الرجل ويقف معه جنبا لجنب وكتفا لكتف ؟ لاندك
أنها المرأة الغربية التى تربت تربية حسنة نجابت كل فج ، وانتجعت كل روض وألقت دلوها
في كل حوض ، نفلت بأمتها خطوات شاسعة ، وهضت بها نهضة مباركة حتى رفعت لواء مجدها
وبنت شامخ عزها ، وأكسبتها السؤدد والفخار .

فبينما نرى المصرية الجاهلة تربي الجبن والخوف في ولدها ، فتقول له إذا عثر رجله فبكى
(اسكت « البعبع ») إذ ترى الغربية تربي فيه الشجاعة والجسارة فتقول له « be a man »

كن رجلا - وهكذا تنتهر القرص لفرس الأخلاق الفاضلة والسجيا الطاهرة حتى يشب من ملاحنا
تتنازل المرأة عن الرجل بكفائها في انقيام بأجل الأعمال وأشدّها خطرا، فلها سلطان
قوى وتأثير شديد في الأوقات المحفوفة بالخطر، تهدي النفوس النائرة وتكسب القلوب الجائعة
في جزائر سليمان توجد امرأة تاجر وهي فتاة من لندن طالما منعت وقوع الحياز
في القرى بمجرد ذهابها إلى ميدان النزاع ولو أقدم رجل أبيض على الدخول في قرية منها
وقت تأجج ثيران الاضطراب لمزقه الهمجيون شرمزق ولتقطعه بالحراة إربا إربا - وقد
حدث مرة في (غينا الجديدة) أن زوجة أحد المبشرين الغربيين منعت المتوحشين الذين
كانوا يأكلون بني آدم من مهاجمة إحدى القرى بعد أن أخفق زوجها ورجال آخرون
وقد تمكنت هذه السيدة من منع أولئك المتوحشين والحصول على تعهد منهم بالانقلاع عن
أكل اللحوم البشرية وشن الغارات - وقد أئجروا تعهدهم فلم يعودوا إلى شيء من ذلك فيما بعد
وعلى مضيق توروس قبائل متوحشة تعد من أخط الطليقات في العالم، وكانت امرأة غربية
هي السبب في قتل هذه القبائل إلى الحضارة والمدنية - ولو أقدم رجل على هذه المهمة لتعرض
لأشد الأخطار ولما نال نفسه إلى حتفه بظلمته، ولكنها كانت هناك في مركز القضاء وعاشت
سنوات عدة حلت من قلوبهم أمنع مكان، وتبوأ من تقوسهم أسمى منزلة.
والحق يشهد أن نساءنا لوترين كما تربت الغريبات لكان لأمنا أعظم فسط من الرقي
وأوفر نصيب من الحضارة والتقدم.

ولا أذهب بعيدا فها هي المرأة العربية أيام الجاهلية وبعد الإسلام قد بلغت من الشجاعة
والجرأة شأوا بعيدا، ومن العزة والأخلاق الفاضلة مرتبة سامية، كانت لها منزلة لم تكن
لأخواتها في هذا الوقت، فكانت القبائل إذا تحاربت تصطبج نساءها معها لئلا يلوب الرجال
حماسة وإقداما، وتداولي جرحهم فكان الرجل لا يألو جهدا في اقتحام الأخطار ولا يدخر
وسعا في خوض غمرات القتال غيرة على نساءهم أن نسي، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
بفتن جيانا ويقتلن لسن بعولتنا إذا لم تمنعونا

ومن ذلك أنه لما ولي معاوية الخلافة وانتظمت إليه الأمور واستتب نظام الملك ناقش
ليلة خرواص أصحابه في وقائع صفين التي كانت بينه وبين سيدنا علي، فخاصوا في الحديث وقال
أحدهم: إن أسراة من أهل الكوفة تدعى «الزرقاء» بنت عدي كانت توفر الصدور وتعرض
الجنود وتقف بين الصفوف تمتح أصحاب علي بكلام لو سمعه الجبان لأندم، والمدبر لأقبل
والقار لسكر، والمضطرب لاستقر. فقال لهم معاوية فما تشيرون علي في تلك المرأة؟ قالوا إن

تقتلها فأنها أهل لذلك . فقال معاوية بنس ما رأيتم وقيحا لما أشرتم، أحسن بي بعد ما غافرت
أن أقتل امرأة وقت لصاحبها ؟ إلى إذا لائتم ! والله لأفعلت ذلك أبدا . وجدير بمن ينشي مجالس
الملوك أن يمك إلا عن رأى سديد أو قول صائب . ثم كتب إلى واليه بالكوفة أن يبعث
بها فإما حضرت قال لها : هل تعلمين لم بعثنا إليك ؟ قالت لا أعلم الغيب إلا الله ! فقال لها أنت
الراكبة الجمل الآخر يوم صفين وأنت تتخلين الأبطال ومحرضين على القتال ؟ قالت نعم !
فقال وهل تحفظين ما قلته يوم ذلك ؟ قالت لا وأبيك ! فقال لها ألم تقولى : « أيها الناس إن
المصباح لا يضىء في الشمس » والكواكب لا تنير مع القمر ، والبذل لا يسبق الفرس ، الزلزال
الزلال ، التمثال القتال ، ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء فأتوا الحرب غير
فأكفين ، فهذا يوم له ما بعده ؟ « ألم تقولى ذلك ؟ قالت نعم قال لها وما الذى حلاك على ذلك
إذن أنت شاركت عليا في كل دم سقته ؟

فقالت والبشر يتلأفوا دحيا . حقق الله بشارتك يا أمير المؤمنين . تلك من ينشر بخير ويسر
جليسه . فقال أو قد سرك ذلك ؟ قالت نعم فقال والله إن وفاءك لعل بعد موته لا أعجب من
حبك له في حياته . فذكرى حوائجك فقالت آليت على نفسى ألا أسأل أحدا بعد على قال لها
قد أشار على بعض من عرفك بقتلك . فقالت لؤم من المشير ولو أعطته لشاركته في اللؤم .
فقال كلا بل نغفرك عنك ونحن إليك . وردها إلى بلدها معزة .

فانظروا أيها القراء كيف دكت جرأة المرأة العربية وكيف كذب دؤها . علي أن هذا
مثال من أمثله عدة ودونكم مثلا صالحا لواء المرأة :

تزوجت امرأة عربية تسمى أم عقبة ابن عمها غسان . وكان يحبها حبا ملك عقله وفؤاده .
وكما نذكر أنه سموت في يوم ما وتركها لغيره مات كذا وحسرة . وفي يوم من الأيام مرض
مرضا شديدا وظن أنه مفارق الدنيا فأحضرها . وقال لها اسمعى ثم أجبى . فقد تأقت نفسى
إلى أن أسألك عن نفسك بعد مماتى . فقالت والله لا أجبك بكذب ولا أجعله آخر حظى
منك فقال لها :

أخبرى بالذى تريدن بعدى والذى تضمرين يأم عقبة
تحفظينى من بعد موئى لما قد كذب من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال وأنا فى التراب فى سحق غربه
فأجابه تقول :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أم عقبة
أنا من أحفظ النساء وأرعاهم من لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بنوح ومرات أفولها وبندبه
فلما سمع ذلك أنشأ يقول :

أنا والله رائق بك لكس احتياطاً أخاف غدر النساء
بعد موتى الأزواج يا خير من عـوشر فارعى حتى يحسن الوفاء
إننى قد رجوت أن تحفظى العهد فكونى إن مت عند الرجاء
ثم أخذ عليها العهد والمواثيق أن تحفظ وده وألا تتزوج بعده بغيره واعتقل لسانه
ولم ينطق بكلمة حتى مات. فلم تنك بعده إلا قليلاً حتى خطبت من كل جهة، وودع فيها
الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، فكانت ترد كل خطيب بقولها :

سأحفظ غساناً على بعد داره وأرأه حتى نلتقى يوم نحشر
وإنى لى شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلى بمن مات يندر
سأبكي عليه ما حيت بدمعة تجول على الخدين منى قتهير

فلما طال عليها الأمد وألح الناس كثيراً فى خطبتها نصحبها قريب لها أن تقبل وقال لها من
مات مات رثاك سنة الله فخذت بصيحته فأجاب بعض خطابها، فلما كانت ليلة الدخول أتاهما
غسان فى منامها وقال لها :

قدرت ولم ترعى لبعك حرمة ولم تعرفى حقاً ولم تحفظى عهداً
ولم تصبرى حولاً لحفاظا لصاحب خلعت له بيتاً ولم تنجزى وعدا
قدرت به لما نوى فى ضربه كذلك ينسى كل من سكن الالحدا

فلما سمعت هذه الآيات قامت من النوم مذعورة مرتاعة وظنت أن غسان معها فكادت
تجن، ودهش من كذب معها من نساء المني أقصت عليهن القصة وأنشدتهن الآيات، فأخذن
يسلمنها وينسبها ما لهن فيه فقالت لهن والله لا خير فى الحياة بعد غسان، ثم تغفلتهن وأخذت
مدية واختتم فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها فأخذت إحدى المحاضرات تربيتها قائلة :
فقد درك ماذا لقيت من غسان قتلت نفسك حزناً يا خيرة النسوان
وقيت من بعده، فقد همت بالعصيان وذو المعالي غفور لستة الانسان

إن الوفاء من الله لم يزل يمكن

تلك أمثلة نسوقها للدلالة على أن المرأة خصالاً كامنة لو أحييت بالتربية والتعليم لعم
نفعها وانتشر فضلها وكان لها أجل أثر فى رقى الأمم ونهضة الشعوب، ولذا وجهت الحكومة
عنايتها إلى تعليم البنات وعرفت أن الثمالة المتعلمة كالشجرة الطيبة أصابها ثبات وفرعها فى
السماء، تثبت نباتاً حسناً يأتى بأطيب الثمرات وأوفر الخيرات، وأنهما كثر مرة تزين الحقيقة
وتعطر الأرواح، وكشعاع الشمس يحى النفوس وينعش القوادى، وسبأى وقت قريب إن شاء الله
نرى فيه المرأة المصرية جذرة بأن تشغل ذلك المركز العظيم وهو ريادة بيتها بمجد ودراسة
وإدارة مملكتها بأخلاص وكفاءة. وبذا تصبح مصر درة تاج الشرق وغرة فى جبين العالم
وتستعيد ما كن لها من المجد والمؤدود فى سالف الزمان ما